النمو السكاني في آراء ابن خلدون

أ.م.د.منتهى طعيمه عناد م.د.نغم احمد مصلح
كلية التربية الأساسية / الجامعة المستنصرية / قسم الجغرافية
montha.edbs@uomustansiriyah.edu.iq nagam.edbs@uomustansiriyah

مستخلص البحث:
يتناول البحث اراء الفيلسوف العربي عبد الرحمن ابن خلدون حول النمو السكاني في مقدمة كتابة (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) في عام 1377 م في ضوء المفاهيم الديمغرافية الحديثة ، وهو اول من كتب في تحليل العلاقة بين السكان والاقتصاد والدولة ، فقد أشار ابن خلدون ان النمو السكاني لا يمكن فصلة عن الظروف الاقتصادية والسياسية للدولة فهي التي تؤدي الى الزيادة والنقصان في عدد السكان نتيجة لانتشار الأوبئة والاضطرابات او الفقر او الهجرة، فهي العامل الأساس في قيام الدولة وتطورها وهو يماثل ما جاءت به النظريات السكانية الحديثة لكل من ادم سميث مؤسس نظرية رأس المال البشري في نهاية القرن الثامن عشر ونظرية التحول الديمغرافي في القرن العشرين .
الكلمات المفتاحية : ابن خلدون، النمو السكاني، افلاطون، الحجم الأمثل للسكان.

المقدمة:
يعد عبد الرحمن ابن خلدون من اعظم المفكرين في العالم العربي والإسلامي الذين اثرو في المجتمع الإنساني بملاحظاتهم الدقيقة ، فهو اول من بدأ بدراسة المجتمع البشري بطريقة واقعية . حيث خرج من طريقة الواعظ التي كانت سائدة في القرون القديمة والوسطى . وهو اول من اوجد علاقة بين المتغيرات السكانية وربطها بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية في مقدمته الذي تناول فيها علم التاريخ والجغرافية والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة، وقد كانت هذه المقدمة ثرية بالمعلومات الجغرافية بشكل عام وجغرافية السكان بشكل خاص. فقد ركز ابن خلدون في مقدمته على أهمية العنصر السكاني في ازدهار الأمم ، ونهضتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنصر السكاني وكثافته، فقد تحدث عن مزايا النمو السكاني وقدرته على خلق تخصص الوظائف التي بدورها تؤدي الى دخول أعلى ، كما أشار ابن خلدون ان النمو السكاني يتركز في المدن مما يخلق مدن كبيرة الحجم تتمتع برفاهية اعلى من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل ، وعلية سنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على تصورات ابن خلدون وتحليل أفكاره ومقارنتها بالمفاهيم الحديثة حول التغير السكاني وفهم العلاقة بين السكان والعوامل المؤثرة في استقرار المجتمعات او انهيارها.

اولاً: مشكلة البحث :
كيف عرف ابن خلدون النمو السكاني . وماهي العوامل التي تؤدي الى زيادة السكان او انكماشهم وما علاقة نمو السكان عنده بازدهار الدولة وسقوطها.

ثانياً: فرضية البحث :
يفترض ابن خلدون ان المجتمعات البشرية تمر بمراحل تطورية تؤثر على عدد المواليد والوفيات كما أشار الى ان زيادة السكان تساعد على تقسيم العمل ، فيزداد الإنتاج ويزداد الدخل نتيجة لزيادة الطلب على السلع مما يؤدي الى خلق صناعات جديدة ، وعندما ينتقل المجتمع الى المرحلة الأخيرة من تطوره ينخفض معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات نتيجة لانتشار المجاعات والاوبئة والثورات والاضطرابات مما يقلل من نسل الانسان .

ثالثاً : هدف البحث :

تسليط الضوء على اهم آراء ابن خلدون في النمو السكاني واهم المسببات لهذا النمو باعتقاده ومقارنة آرائه بالاتجاهات الحديثة .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي لتحليل اراء وأفكار ابن خلدون فضلاً عن المنهج التاريخي .

هيكلية البحث :

قسم البحث الى ثلاث محاور المحور الأول تناول مفهوم النمو السكاني عند المفكرين القدماء ومفكري العصور الوسطى والحديثة والمحور الثاني تناول مفهوم النمو السكاني عند ابن خلدون من خلال مقدمته والمحور الثالث تناول مراحل النمو الديمغرافي .

المحور الأول : النمو السكاني من منظور المفكرين القدماء ومفكري العصور الوسطى والحديثة :

نالت الظاهرة السكانية اهتمام العديد من المفكرين منذ القدم فقد كانت آراءهم هي البداية التي اشارت للعلاقة المتواجدة بين السكان والاقتصاد . تركزت بحوثهم ودراساتهم حول محورين أساسيين : أسباب النمو السكاني من جهة والاثار المترتبة على ذلك من جهة أخرى ، وقد جاء أولئك المفكرين بآراء ووجهات نظر بمختلف الظواهر السكانية بالتحليل والتفسير كان لها اثرها الواضح في التمهيد لما نشهده اليوم من دراسات سكانية . من اول المجتمعات التي اثارت موضوع النمو السكاني اليونان القديمة ومن ابرز مفكريها افلاطون الذي يعتبر اول من وضع قانون للسكان كما أشار تلميذه ارسطو بدوره الى المخاطر التي تنجم عن النمو السكاني غير المحدود (1) .

فقد أشار الفيلسوف اليوناني افلاطون في كتابة (الجمهورية) في حوالي 3800 قبل الميلاد الى أنه ينبغي على الحكام ان يثبتوا عدد السكان في المدينة عند حد امثل ، على ان يعوضوا ما فقد من جراء الامراض والحروب ، ويحاولوا ان لا يزيد عدد السكان عن الحد الأمثل حتى تبقى الدولة في الحد المتوسط وذلك عن طريق تنظيم عقود الزواج. ان المحور الأساس الذي تدور حولة أفكار افلاطون المتعلقة بالسكان هي: الحجم الأمثل للسكان في الوحدة السياسية اليونانية التي تعني عند افلاطون (الدولة المدنية) حيث حدد الحجم الأمثل للسكان ب (5040) مواطن دون عبيد . وذلك حتى لا تكتظ المدينة بالسكان لان القوت لا يكفي أكثر من هذا العدد ، فقد كان يقسم افلاطون السكان الى قسمين : (الاسياد والعبيد). وقد كانت وصية افلاطون الى الحكام والقائمين على شؤون الدولة أن تثبت عدد السكان في المدينة عند الحد الأمثل يجب :

- تحديد سن الزواج بما يحقق التكافأ والتوازن بعدد السكان .
- تحديد النسل او الحد منة .
- منع الهجرة الى البلاد (2) .

اما ارسطو على الرغم من انه كان تلميذاً لا فلاطون لم يحدد الحجم الأمثل للسكان على عكس افلاطون . فقد اكد ارسطو ان الدولة العظمى ليست هي الدولة كبيرة الحجم وان من الضرورة تدخل الدولة بأساليب متنوعة لتحقيق التناسب بين حجم السكان وبين مواردهم، خاصة مساحة الأرض وقدرتها على استيعاب حجم السكان ولتحقيق ذلك نرى ان ارسطو يوافق على الإجهاض من اجل الحد من زيادة السكان والتخلص من المواليد المشوهة بعد الولادة، من جهة أخرى يعتبر ارسطو من رواد المفكرين الذين اهتموا بقضية تحديد حجم السكان، كما ايد سياسة تحديد النسل، وكذلك تحديد عدد السكان بالنسبة لارسطو يجنب الفقر وانتاج طبقات هشة غير قادرة على الإنتاج، ثم يرى كذلك أن تبرير عملية الإجهاض عملية ضرورية للحفاظ على الحد الأنسب من السكان وبشكل يوازي إمكانيات وقدرات الدولة وخيراته وموارده ، وكذلك تحديد سن الانجاب وظروف الأمهات الصحية ، ثم يوصي

بنظام صحي للامهات الحوامل (3) . اما الفيلسوف الهندي كوتيليا والذي ظهر في القرن الرابع قبل الميلاد فقد اكد هو الاخر في كتابة ((arthashastra)) الذي يعتبر من اقدم الكتب في الفكر السياسي والاقتصادي والإداري على النمو السكاني المتوازن على الرغم من انه رحب بزيادة السكان الا انه حذر من عواقب سوء إدارة الموارد او الفوضى التي قد تنبع من عدم وجود تخطيط اقتصادي واجتماعي ملائم ،فقد اكد على الاهتمام بنوعية السكان (التعليم ، الانضباط ، الإنتاج) .
بأختصار رأى كوتيليا ان النمو السكاني مفيد اذا كان منظماً او مدعوماً بسياسات تعزز الإنتاجية وتوازن بين الموارد والسكان (4) . اما في العصور الوسطى فقد ظهر ابن خلدون وطريقته المميزة في تحليله للظواهر، جعلة من أوائل العلماء الذين أعطوا أهمية لدراسة الظواهر السكانية وضح من خلال نصوص المقدمة أن كثافة السكان تساهم الى حد كبير في تحسين الظروف الاقتصادية وبالتالي حسن استغلال الثروة الاجتماعية وتقسيم العمل . فقد تحدث ابن خلدون والذي يعد عالماً موسوعياً متعدد المعارف والعلوم عن مزايا النمو السكاني في مقدمته. فقد رأى ان النمو السكاني يخلق الحاجة الى تخصص الوظائف وبدورة يؤدي الى مداخيل اعلى، وهي الفكرة التي تناولها ادم سميث في تحدثه عن تقسيم العمل قيما بعد كما أشار ايضاً ان النمو السكاني يتركز اساساً في المدن لان سكانها ذات حجم اكثر و رفاهية اكبر من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل ، و ويعود ذلك الى الاختلاف في طبيعة الوظائف التي تؤدى حسب كل منطقة ، فلكل مدينة أسواق لأنواع مختلفة من الاعمال وكل سوق يستوعب من الانفاق ما يتناسب مع حجمة (5). ونظراً للاهمية التي يمثلها العنصر البشري في المجتمع و العلاقة الوثيقة بين الانسان والأرض التي يعيش عليها ، فقد ادرك علماء الاجتماع ومنهم عبد الرحمن بن خلدون الى ضرورة التصنيف في علم السكان ، ذلك ان هذا العلم يبحث في المسائل المتصلة بالسكان من حيث عددهم توزيعهم ومهنهم وكثافتهم وتنقلاتهم وارتباط هذه الأمور بالظروف الطبيعية والمجتمعية . والهدف من هذا العلم هو الوصول للحقائق المتصلة بالسكان والتي من شأنها ان تعين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإداري على فهم وضع سكان المجتمع الذي نعيش فيه ووضع الخطط اللازمة لحل مشاكلهم والتي تستهدف الارتقاء بالعنصر البشري وتهيئة سبل العيش الكريم اللائق به . وان انتشار وتوزيع السكان على الكرة الأرضية لا تحدده العوامل الطبيعية وحدها وانما يعتمد تأثير ذلك على طرق حياة الناس والخصائص الطبيعية للأرض التي يعيش عليها الانسان لان هذه الأمور تسهم في رسم المسار الحضاري للإنسان (6). يؤكد ابن خلدون ان طبيعة السكان الحضر تنمو بمعدلات متفاوتة في مختلف بقاع العالم ، حيث توجد هناك مؤثرات في هذا النمو وان النمو يرجع الى الزيادة الطبيعية والهجرة وتوسع المستوطنات الحضرية على حساب المستوطنات الريفية والبدوية ، وتغير مكانتها من ريفية او بدويه الى حضرية ويطلق عليها مصطلح المستوطنات البشرية ، كما أشار الى ان التركيب السكاني يعني جميع الخصائص السكانية التي يمكن قياسها رقمياً حسب العمر والنوع ونمط المعيشة في المناطق البدوية ، الريفية ، الحضرية كل هذه الخصائص ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعدد المواليد والوفيات في منطقة معينة ، وبعدد من يهاجر الى المنطقة ومن ينزحون عنها ، ومن زاوية فكرية أخرى يرى ابن خلدون ان دراسة السكان لا تقتصر على تركيب السكان فحسب. بل تشمل تناول التغيرات التي تحدث في تركيب السكان وتأثيرها على حياة المجتمع (7) . ان معدل النمو الطبيعي هو الفارق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات ، وهو النسبة التي يزيد بها حجم السكان او ينقص خلال سنة معينة، بسبب زيادة او نقص الولادات على نسبة الوفيات ويعبر عنة كنسبة من اجمالي السكان، ولا يجوز الخلط بين معدل النمو الطبيعي ومعدل النمو الديمغرافي. فهذا الأخير يساوي معدل النمو الطبيعي مع معدل صافي الهجرة والتأثير النهائي كحصيلة الهجرة الى الداخل والخارج على سكان منطقة ما، كل هذه الحالات لم تغب عن فكر ابن خلدون ، وأشار اليها

وحدد دوافعها ونتائجها وهم الوافدون او الهجرة الوافدة وأشار ابن خلدون الى السكان المهاجرين الذين سماهم البدو الرحل الذين ينتقلون من منطقة الى أخرى للحصول على وسائل العيش والكسب (8) .

يعتبر ابن خلدون طور البدواه هو اول طور تمر به المجتمعات السكانية وعبر النمو الاقتصادي ينتقل الى طور الحضارة وكي يتم ذلك لابد من كثرة الصناعات بسبب زيادة السكان كما وضح ابن خلدون في مقولته ' ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفة دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر . ' (9) .

فعند نشأة اية دولة وبداية تحولها الى التحضر، يكون المجتمع في طور النمو والزيادة في عدد السكان ،وبارتفاع الكثافة السكانية فان تقسيم العمل يسهل المهام ويرفع من المستوى المعيشي للأفراد وبالتالي يزيد فاعلية المؤسسات السياسية – العسكرية – الاقتصادية . الزيادة الاقتصادية والزيادة السكانية يؤديان بدورهما الى ثراء الدولة . فتقع الحكومة في فخ الرفاه والجشع مما يؤدي الى رفع الضرائب ، ومن هنا تبدأ مرحلة الانهيار، وبثقل الضرائب على الافراد يفقدون الرغبة في الإنتاج . وبمحاولة الحفاظ على نفس المداخيل الضريبية يزداد العبئ على المواطنين . مما يولد الأوضاع الرافضة والثورات وتسوء الأوضاع في المجتمع تقل على اثرها الخصوبة وترتفع نسبة الهجرة بالإضافة الى انتشار المجاعات وارتفاع نسبة الوفيات (10) . ويشير ابن خلدون ان قوة الدولة تكون في الكثرة والقوة العسكرية التي تحدد هيمنة الدولة تنتج من كثرة الأشخاص القادرين على الدفاع عنها . فبقدر ازدياد العدد تقدر عظمة القوة العسكرية وبقدر امتداد وتوسع الدولة ، لذلك كانت العصبيات آنذاك تشجع على كثرة النسل وخصوصاً على أهمية الذكور التي تنصب على عاتقهم مهمة الحماية والغزو والحرب (11) . كما يربط ابن خلدون زيادة السكان والنمو الاقتصادي بمرحلة معينة من مراحل حياة الدولة وهي المرحلة التي يسود فيها العدل والامن وما يتوفر لرعيتها من امن واستقرار واماكن للعمل وكسب الرزق يظهر اثره بعد جيل او جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء (12) .

يشير ابن خلدون ايضاً الى ان الكوارث الطبيعية والمجاعات والاوبئة تؤدي الى ارتفاع نسبة الوفيات وهي مرتبطة نتيجة الواقع الذي ال الية المجتمع عند نهاية الدولة عندما اهتم الحكام باللهو والترف أي تصبح النفقات كبيرة مما يدفعهم الى الزيادة في الضرائب وتسوء الأوضاع الاجتماعية للعمال ، مما يؤدي الى انحلال العصبية وتكثر المظالم حيث يلجأ عدد كبير من السكان الى الهجرة والباقين يصبحون عرضة للمجاعات وسوء الأحوال الصحية وارتفاع نسبة الوفيات الذي يؤدي بدورة الى انتشار الأمراض والاوبئة والتلوث الذي سماه ابن خلدون ب(فساد الهواء) الذي يحدث نتيجة كثرة نمو العمران وتلاصقه (البناءات العشوائية) (13) .

المحور الثاني : مفهوم النمو السكاني عند ابن خلدون :

يعد النمو السكاني من الحقائق الديمغرافية المهمة بكل المجتمعات البشرية (بدوها وحضرها) ، ذلك لان المعدل الذي يتغير بموجبه عدد السكان لا يؤثر على حجم الزيادة العددية فقط ، بل يؤثر ايضاً على التركيبة السكانية ، ان زيادة او قلة سكان مجتمع ما خلال حقبة زمنية معينة تعتمد على التوازن الحاصل بين الزيادة فيما اذا كانت مفرطة مبالغ فيها ام معتدلة . وعلية فأن النمو السكاني يتضمن أربعة عناصر رئيسة : هي الولادات والوفيات والهجرة داخل الدولة والهجرة منها ، وهذا من شأنه ان يدعى الميزان بين الولادات والوفيات بالزيادة الطبيعية او تغير طبيعي (14) . ويرى ابن خلدون ان طبيعة سكان الحضر ينمو بمعدلات متفاوتة في مختلف بقاع العالم اذ توجد هناك مؤثرات في هذا النمو، وان النمو يرجع الى الزيادة الطبيعية والهجرة وتوسع المستوطنات الحضرية على حساب المستوطنات الريفية والبدوية وتغير مكانتها من ريفية او بدوية الى حضرية ويطلق عليها المستوطنات

البشرية ، وان التركيب السكاني يعني جميع الخصائص السكانية التي يمكن قياسها رقمياً حسب العمر والنوع ونمط المعيشة في المناطق البدوية الريفية او الحضرية كل هذه الخصائص ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعدد المواليد والوفيات في منطقة معينة ، وبعدد من يهاجر الى المنطقة ومن ينزحون عنها (15) . فقد أشار ابن خلدون والذي يعد عالماً موسوعياً متعدد المعارف والعلوم الى قضية السكان والنمو السكاني فقد تحدث عن مزايا النمو السكاني ، فقد رأى ان النمو السكاني يخلق الحاجة الى تخصص الوظائف وبدورة يؤدي الى مداخيل اعلى وهي الفكرة التي تناولها ادم سميث في تحدثه عن تقسيم العمل فيما بعد ، كما أشار ايضاً ان النمو السكاني يرتكز اساساً في المدن لان سكانها ذات حجم اكثر ورفاهية اكبر من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل والسبب الجوهري هو الاختلاف في طبيعة الوظائف التي تؤدي حسب كل منطقة ، فلكل مدينة أسواق لأنواع مختلفة من الاعمال وكل سوق يستوعب من الانفاق ما يتناسب مع حجمة (16) . ويعتقد ابن خلدون ان المجتمعات تمر خلال حياتها بمراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة ، فقد يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره ، زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات بما يؤثر على نمو السكان وزيادة عددهم ، وعندما ينتقل المجتمع الى مرحلة التطور الأخيرة يشهد ظروفاً ديموغرافية مختلفة تماماً عما سبقها ، حيث تنخفض فيها معدلات الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات. ويذهب الى ان الخصوبة العالية في المرحلة الأولى من تطور المجتمع ترجع الى نشاط السكان ومقدرتهم اما في المرحلة الأخيرة من تطور المجتمع فتظهر المجاعات والاوبئة والثورات والاضطرابات التي تؤدي الى وجود هذه الظروف الديمغرافية المختلفة في هذه المرحلة (نقصان عدد السكان، تغير التركيبة العمرية والنوعية للمجتمع) (17) . كما يفترض ابن خلدون بان السكان في أي مكان هم الافراد الذين يجمعهم المجتمع ويلم شملهم ويعيشون ويعملون فيه معاً ويتزاوجون فهم خليط من ذكور واناث ومن مختلف الفئات العمرية ، ويعملون في مهن مختلفة كما انهم في حالة حركة ديناميكية مستمرة ، وهم يمثلون الثروة الحقيقية للمجتمع ، فلولا العنصر البشري على وجه الأرض ما انتشر العمران وما قامت مدينة او حضارة كما يرى بانهم القوة الفاعلة التي تدافع عن الوطن . فالسكان يؤثرون على كافة النظم الاجتماعية عن طريق التأثير على مجرى التغيرات الاجتماعية (ثقافية ، اقتصادية ، سياسية ، ديمغرافية) (18) .

المحور الثالث : مراحل النمو الديمغرافي :

بناءاً على ما سبق يمكن تلخيص المراحل التي يمر بها النمو الديمغرافي الى مرحلتين على حسب العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع . وهذا حسب ما وضحة ابن خلدون في مقدمته .

المرحلة الأولى :

ان معدل زيادة معدل الخصوبة في المواليد ونقص معدل الوفيات هي الفترة التي تستغرق للانتقال من طور البداوة الى طور الحضارة فيزداد عدد السكان وتزدهر الصناعات ، فالترف يزيد الدولة قوة الى قوتها ويعزى ذلك اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد وربيت اجيالهم في جو ذلك النعيم والرفاه فازداد عددهم وقوة الى قوتهم . ان كثرة التناسل لا تتم الا بالتشجيع على الزواج المبكر وعدم وضع أي قيود على سن الزواج . ففي مرحلة بناء الدولة تكون هناك حاجة ملحة لعدد كبير من السكان ، فترف الحياة سبب مباشر في ازدياد النسل او الخصوبة وذلك من خلال تحسن الأوضاع وتوفر الغذاء (19) .

المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة يشير ابن خلدون الى تحول الأوضاع فترتفع معدلات الوفيات نتيجة ظهور الامراض والاوبئة والاضطرابات التي نتيجتها الفوضى والفساد والظلم مما يؤدي الى انخفاض

معدلات المواليد (الخصوبة) مما يؤدي الى اضعاف نشاط السكان ويشير أيضا الى ان الظلم هو من الأسباب المؤدية الى انقطاع النوع البشري (20) . وبذلك نستنتج ان المرحلة الأخيرة من حياة الدولة ونتيجة الظروف والظلم تدخل مرحلة الهدم والانحلال والعصبية بما يدفع الناس الى الهجرة ومسك أيديهم عن العمل والإنتاج (الفلح) مما يؤدي الى المجاعات وسوء التغذية وانتشار الامراض مما يؤدي الى ارتفاع الوفيات وانخفاض الولادات .وعلية نجد ان ابن خلدون يعتمد على نظرية واضحة بخصوص القضايا السكانية منها العلاقة بين عدد السكان والوضع الاقتصادي والذي يبين فيه ان عدد السكان الأمثل يؤدي الى رفع المستوى المعيشي من خلال استخدام الموارد الاقتصادية ، كما انه اول من عالج هذا الموضوع معالجة علمية ببحثة في عمران الدول واتساعها وتأخرها وعلى هذا الأساس ربط كل ماسبق بنمو السكان . فقد ذكر ابن خلدون ان حجم الدولة ومجال توسعها ومدة بقاءها في علاقة مباشرة مع العدد (21) . وقد وأشار ابن خلدون في مقدمته عن القوانين التي يسير عليها التزايد السكاني وبذلك سبق (مالتس) الاقتصادي الإنكليزي في نظريته التي اشتهر بها وهي نظرية تزايد السكان . مالتس عالم اقتصاد ولد سنة 1766 م ويعد من المنشئين لعلم الديمغرافيا او علم إحصاء السكان . وتقوم فكرته الأساسية على ان عدد السكان في العالم تميل الى الزيادة ، بينما كميات الطعام تقل ، واستخلص مالتس من دراساته لظاهرة التزايد السكاني . ان السكان يتزايدون كل خمس وعشرين سنة بنسبة متوالية هندسية (1,2,4,8,16,32) ، اذا لم يتوقف تزايدهم عائق خارجي، بينما الغذاء يتزايد بنسبة حسابية (22) . وعلية ان الانسان لا يستطيع العيش دون وجود الطعام .

وان قدرة الانسان على التكاثر تتجاوز بكثير إمكانية زيادة المواد الغذائية . وطبقاً لفكرة المتوالية الهندسية فان عدد السكان من الناحية النظرية يمكن ان يستمر في التزايد الى ما لا نهاية ما لم يعرقل هذا التزايد موانع معينة. فقد اكد مالتوس بحكم قانون طبيعتنا هذا الذي يجعل الغذاء ضرورياً لحياة الانسان، فلابد من الإبقاء على تساوي النتائج المترتبة على هاتين القدرتين غير المتساويتين (السكان ، الغذاء). وهذا يتضمن عائقاً قوياً باستمرار منع زيادة السكان عن طريق صعوبة العيش . وهذه الصعوبة يجب ان تحل مكان ما ، ولابد حتماً ان يشعر بها فريق كبير من الجنس البشري (23)

وبذلك فأن المشاكل التي يواجهها المجتمع من فقر وبطالة وسوء الأحوال المعيشية والصحة والجوع وانتشار الآفات والانحرافات الأخلاقية. نتيجة حتمية لقانون الطبيعة الابدي مهما كانت الظروف التي يعيش فيها الانسان ، وهذه المشاكل لا صلة لأي نظام (بالتحديد النظام الرأسمالي) ، ولا لأي طريقة في الحكم بل الفقراء هم المسئولون الاولون عن شقائقهم وسوء احوالهم ،وذلك بتكاثرهم نتيجة سلوكهم الجنسي غير الموجه والمنظم واهم مساعدة لهم في توعيتهم وتبصيرهم بقانون السكان ، وبالنتائج المترتبة على ذلك وعلى إثر هذه الرؤية اتخذ مالتوس اتجاهاً لمعالجة هذه المشكلة وذلك بطرح جملة من الحلول أهمها كان لاإنساني لتقليل التزايد السكاني ولا يكون هذا التقليل الا بفرض موانع معينة توفر التناسب بين الزيادة السكانية والثروات الطبيعية (24) . كما سبق ابن خلدون نظرية رأس المال البشري والذي يعد الاقتصادي الاسكتلندي ادم سميث مؤسسها في القرن الثامن عشر وكتابة المشهور (ثروة الأمم) الذي ركز فيه على ثلاث عناصر أساسية هي تراكم رأس المال ، السكان وزيادة إنتاجية العمل . حيث يرى ان النمو السكاني سبب من أسباب التقدم الاقتصادي حيث انه يزيد السوق اتساعاً بالإضافة الى زيادة السكان تخلق مجالاً لزيادة تقسيم العمل . وبهذا يتفق مع ابن خلدون الذي يرى ان النمو السكاني عامل مهم في ازدها العمران (الحضارات) اذ كلما ازداد عدد السكان زاد التخصص في العمل مما يؤدي الى تحسين الإنتاج وتطور الاقتصاد . كما نجد ان نظرية التحول الديمغرافي التي ظهرت في القرن العشرين تتفق مع اراء ابن خلدون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كمحركات رئيسة، كما ان هناك مراحل تمر بها المجتمعات في النمو السكاني ولكل مرحلة تأثير على النمو السكاني .

يتضح مما تقدم ان ابن خلدون من خلال مقدمته سبق عصرة في تحليل العلاقة بين نمو السكان والعوامل الاقتصادية والاجتماعية ودورها في ازدهار او انحطاط الدول .

الخاتمة:

من ابرز أفكار ابن خلدون المتعلقة بالنمو السكاني هي كالتالي :

1 - نجد ان ابن خلدون رصد بذكاء العلاقة بين السكان والاقتصاد والسياسة من خلال مؤلفة (المقدمة) التي تشكل اساساً سبق الزمان وهو يماثل ما جاءت به النظريات السكانية الحديثة منها نظرية التحول الديمغرافي للمدة (1887 – 1973 م) ونظرية رأس المال البشري (ادم سميث) .

2 - اظهر ابن خلدون في مقدمته العوامل التي تؤثر في حجم السكان وعلاقتها ببناء الدولة .

3 - يشير الى ان كثرة السكان تعزز من قوه الدولة ، كما يرى ان الدولة تمر بمراحل النشوء والازدهار ومن ثم مراحل الانحدار وفي كل مرحلة يتأثر عدد السكان .

الهوامش:

1 - حسن الساعاتي ، علم الاجتماع الخلدوني ، مطبعة المعارف ، ط3 ، القاهرة ،1975، ص183.

2 – عبد الرحمن حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، جامعة دمشق ، 2000، ص122.

3 – حسين عبد الله ،ابن خلدون انجاز فكري متجدد ، تق :إسماعيل سراج ، مكتبة الإسكندرية ،2008 ،ص11.

4 – عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمه ابن خلدون ، ط1، مؤسسة المعارف ، بيروت ،2001، ص56.

5 – عبد المنعم عبد الحي ، السكان والاسس النظرية والابعاد الاجتماعية ، مطبعة الجامعة الحديثة ، القاهرة ، 1984 ، ص 13.

6 – علي عبد الواحد، اعلام العرب عبد الرحمن حياته واثاره وعبقريته، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ج4 ، ص 212 – 214 .

7 – طه حسين، فلسفة ابن اخلدون الاجتماعية ، مطبعة بيروت ، القاهرة ، 1915 ، ص33 .

8 – عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، الدار التونسية للنشر، 1984 ، ص381 .

9 – المصدر نفسة ، ص120 .

10 – G.CASELLI.J.Vallin.j .vallin.Gj Wunsch:2006 p.23.

11 – عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، 1981 ، ص 691 .

12- السيد محمد الخضر ، حياه ابن خلدون ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1343 ه ، ص1 .

13 – عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص163 .

14 – فتحي محمد ، جغرافية السكان ، مطبعة دار النهضة العربية ، ط5 ، بيروت ،2006 ، ص 16 -17.

15 – عبد الرحمن ابن خلدون ، 808 ه – 1405 م ، التعريف بأبن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 ، ص 55 .

16 – سالم علي ، ومحمود عبد الله ، جغرافية السكان ، مطبعة دار الصفاء ، عمان ، 2001 ، ص 13 – 14 .

17 – عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 ، ص28 .

18 - غاستون بوتول ، ابن خلدون فلسفته الاجتماعية ، مطبعة المؤسسة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1984 ، ص 59 .

19 – خميس طعم الله ، المسألة الديمغرافية عند ابن خلدون ، 2006 ، ص 28.

20 – عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 302 .

21 - عبد الرحمن ابن خلدون ، التعريف بأبن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، عرض بهاء الدين محمد علوان ، مجلة العربي ، العدد 569 ، وزارة الاعلام الكويت ، 2006 ، ص60 .
22 – G.Montigny:1977,p.157.
23 – رمزي زكي ، المسألة السكانية والخرافة المالثوسيه الجديدة ، عالم المعرفة ،الكويت ، 1984، ص26.
24 – عبد الزهرة علي ، ابن خلدون جغرافياً ، مجلة البحوث الجغرافية ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2002 ، ص165.

Margins:

1- Hassan Al-Saati, Sociology of Khaldouni, Al-Maaref Press, 3rd Edition, Cairo, 1975, p. 183.
2- Abdul Rahman Hamida, Media of Arab Geographers, Dar Al-Fikr, Damascus University, 2000, p. 122.
3- Hussein Abdullah, Ibn Khaldun, a renewed intellectual achievement, Taq: Ismail Sirag, Bibliotheca Alexandrina, 2008, p. 11.
4- Abdul Rahman Ibn Khaldun, Introduction Ibn Khaldun, 1st Edition, Knowledge Foundation, Beirut, 2001, p. 56.
5- Abdel Moneim Abdel Hai, Population, Theoretical Foundations and Social Dimensions, Modern University Press, Cairo, 1984, p. 13.
6- Ali Abdel Wahed, Arab Flags Abdul Rahman, his life, effects and genius, Ministry of Culture and National Guidance, Cairo, vol. 4, pp. 212-214.
7- Taha Hussein, Ibn Khaldun's Social Philosophy, Beirut Press, Cairo, 1915, p. 33.
8- Abd al-Rahman Ibn Khaldun, introduction, Tunisian Publishing House, 1984, p. 381.
.Ibid., p. 120 – 9
10 – G.CASELLI. J.Vallin.j .vallin. Gj Wunsch:2006 p.23.
11- Omar Farroukh, History of Arab Thought to the Days of Ibn Khaldun, 1981, p. 691.
12- Al-Sayyid Muhammad Al-Khidr, Hayat Ibn Khaldun, Salafi Press, Cairo, 1343 AH, p. 1.
13- 'Abd al-Rahman Ibn Khaldun, al-Muqaddimah, previous source, p. 163.
14- Fathi Mohammed, Population Geography, Dar Al-Nahda Al-Arabiya Press, 5th Edition, Beirut, 2006, pp. 16-17.
15- Abd al-Rahman Ibn Khaldun, 808 AH – 1405 AD, introducing Ibn Khaldun and his journey west and east, Dar al-Kutub al-Libnani for Printing and Publishing, Beirut, 1979, p. 55.
16- Salem Ali and Mahmoud Abdullah, Population Geography, Dar Al-Safa Press, Amman, 2001, pp. 13-14.

17- Abd al-Rahman Ibn Khaldun, lessons and Diwan al-Mubtada and al-Khobar in the days of the Arabs, non-Arabs, Berbers and their contemporaries from the Grand Sultan, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2006, p. 28.
18- Gaston Bouttol, Ibn Khaldun, his social philosophy, Arab Foundation Press, 2nd Edition, Beirut, 1984, p. 59.
19- Khamis Ta'am Allah, The Demographic Question of Ibn Khaldun, 2006, p. 28.
20- 'Abd al-Rahman Ibn Khaldun, al-Muqaddimah, previous source, p. 302.
Rahman Ibn Khaldun, Introducing Ibn Khaldun and his Journey -Abd al' -21 Arabi -Din Muhammad 'Alwan, al-and West, presented by Baha' al East .magazine, No. 569, Ministry of Information, Kuwait, 2006, p. 60
22 – G. Montigny: 1977, p. 157.
23- Ramzi Zaki, The Population Question and the New Malthusian Myth, The World of Knowledge, Kuwait, 1984, p. 26.
24- Abdul Zahra Ali, Ibn Khaldun Geography, Journal of Geographical Research, College of Education for Girls, University of Kufa, 2002, p. 165.

المصادر :
1 – حسين ، طه ، فلسفة ابن اخلدون الاجتماعية ، مطبعة بيروت ، القاهرة ، 1915 .
2 – المصدر نفسة ،
3 - الساعاتي ، حسن ا، علم الاجتماع الخلدوني ، مطبعة المعارف ، ط3 ، القاهرة ،1975.
4 – ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمه ابن خلدون ، ط1، مؤسسة المعارف ، بيروت ،2001.
5 – ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 .
6 – G.Montigny:1977 .
7– G.CASELLI.J.Vallin.j .vallin.Gj Wunsch:2006 p.23.
8– محمد ، فتحي ، جغرافية السكان ، مطبعة دار النهضة العربية ، ط5 ، بيروت ،2006 .
9 – فروخ ، عمر، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، 1981 .
10 - علي ، عبد الزهرة ، ابن خلدون جغرافياً ، مجلة البحوث الجغرافية ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2002 .
11 – علي ، سالم ، ومحمود عبد الله ، جغرافية السكان ، مطبعة دار الصفاء ، عمان ، 2001 .
12 – عبد الله ، حسين ، ابن خلدون انجاز فكري متجدد ، تق :إسماعيل سراج ، مكتبة الإسكندرية ،2008 .
13 – عبد الحي ، عبد المنعم ، السكان والاسس النظرية والابعاد الاجتماعية ، مطبعة الجامعة الحديثة ، القاهرة ، 1984 .
14 – زكي ، رمزي ، المسألة السكانية والخرافة المالثوسيه الجديدة ، عالم المعرفة ،الكويت ، 1984.
15 – حميدة ،عبد الرحمن ، اعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، جامعة دمشق ، 2000.

16 - بوتول ، غاستون ، ابن خلدون فلسفته الاجتماعية ، مطبعة المؤسسة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1984 .
17 - الخضر ، السيد محمد ، حياه ابن خلدون ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1343 ه.
18– ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، الدار التونسية للنشر ، 1984 .
19– ابن خلدون ، عبد الرحمن ، 808 ه – 1405 م ، التعريف بأبن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 .
20 – عبد الواحد ، علي ، اعلام العرب عبد الرحمن حياته واثاره وعبقريته ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ج4 .
21 - ابن خلدون ، عبد الرحمن ، التعريف بأبن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، عرض بهاء الدين محمد علوان ، مجلة العربي ، العدد 569 ، وزارة الاعلام الكويت ، 2006.
22– طعم الله ، خميس ، المسألة الديمغرافية عند ابن خلدون ، 2008 .

Abstract:

This research discuss the views of the Arab philosopher Abdul Rahman Ibn Khaldun on population growth in the introduction to writing (lessons and Diwan debutante and news in the days of the Arabs, non-Arabs, Berbers and their contemporaries with the greatest authority) in 1377 AD in the light of modern demographic concepts, which is the first to write in the analysis of the relationship between the population , the economy and the state , Ibn Khaldun pointed out that population growth can not be separated from the economic and political conditions of the state is what leads to Reduce and increase the number of Population as a result of the spread of epidemics, unrest, poverty or migration , it is the main factor to development and establish the state, which is similar to what came by the modern population theories of Adam Smith , founder of the theory of human capital around the end and the theory of demographic transformation in the twentieth century .

Keywords: Ibn Khaldun, population growth, Plato, optimal population size.